على هامش النفر :

شيلوك الجديد

أو

قضية فلسطين

مسرحية للأستاذ باكثير

الأستاذ سيد قطب

هذه المسرحية من عمل الأستاذ « على أحمد باكثير » صاحب مسرحيات : « مملكة السماء ، والفرعون الموعود ، وقصر الهودج » ؛ وقصص : « سلامة القس ، وا إسلاماه » ... أصدرتها « لجنة النشر للجامعيين » فى سلسلتها التى بلغت إلى اليوم أربعاً وثلاثين حلقة ، معظمها لأسماء شابة أبرزتها اللجنة ، وكشفت عن مواهبها ، وهيأت لها فرصتها للظهور ، والإنتاج المفيد ؛ ولعلها كانت وشيكة أن تطمر ، أو أن تنتظر طويلا حتى تنال حقها الطبيعى فى الميدان الأدبى . وذلك فضل للجنة ليس باليسير .

ومسرحية « شيلوك الجديد » عمل أدبى يجىء فى إبانه ، ليلقى على « قضية فلسطين » فى هذه الأيام ضوءاً منيراً كشافاً ، وليصورها على حقيقتها التاريخية والواقعية ، وليرسم الحل الناجع لها ، وهو الحل الذى اهتدت إليه جامعة الدول العربية بعد شهر من ظهور المسرحية . وحسب المؤلف — وهو فرد — أن يلتقى فى تفكيره مع أبرز رجال الجامعة العربية فى حل قضية فلسطين !

وهذه المسرحية — من الوجهة الفنية البحتة — ليست أحسن أعمال الأستاذ باكثير ؛ ولكنها من الجهة الأخرى تعد أكبر عمل أدبى تصدى لقضية فلسطين منذ نشأتها إلى اليوم ...

إنها تقرير حى عن هذه المأساة ، لا يسرد القضية سرد التقريرات ؛ بل يعرضها عرضاً حياً على المسرح ، فيكشف عن حقيقة مطامع الصهيونيين فى هذه البلاد المقدسة ، وعن وسائلهم الخسيسة والجهنمية فى تحقيق هذه المطامع ، وعن نواحى الضعف التى يستغلونها فى جسم الأمة العربية أفراداً وشعباً ، وعن مدى مشاركة السياسة البريطانية فى هذه الوسائل ، وهى مشاركة كانت كلية سافرة فى وقت من الأوقات ، وما تزال إلى اليوم تعمل ، ولكن فى حذر ومن وراء ستار ؛ لأن القوانين والإجراءات المالية والنظامية التى سنتها لا تزال باقية تخدم القضية الصهيونية أجل الخدمات ، وتهيئ لها امتلاك الأراضى ، بعد أن تضيق الخناق على الاقتصاد العربى ، وتجعله مضطراً لأن يمد يده إلى الاقتصاد الصهيونى ، أو إلى الشرك الصهيونى بتعبير أدق !

ولا تخلو المسرحية — بعد هذا — من عرض لوحات حية من المشاعر والأحاسيس والعواطف الإنسانية ، والغرائز البشرية تتصارع وتتزاحم ، وإن كان المؤلف — على عادته دائماً — يغلب عواطف الخير والطهر ، ويمكن للأريحية والنبالة ... وذلك نضح نفسه الطيبة على أبطاله وقصصه

وهو إذ يصور الوسائل الخسيسة العجيبة التى تلجأ إليها الصهيونية لسلب أموال العرب وشبابهم !!! ويستعرض المكايد والدسائس المحبوكة التى تستخدمها ، لا يكون الأمر مجرد حوادث ودسائس تستعرض ؛ ولكنه يتعمق صميم النفس اليهودية ، فيبرزها « نموذجاً بشرياً » واضح السمات متميز الملامح . وهذه المواضع فى المسرحية هى أجودها من الناحية الفنية . ولو أن المسرحية كلها فى مستوى هذه المواضع لارتفعت إلى مستوى شكسبير ، فى رواية « تاجر البندقية » . فطبيعة النفاذ إلى صميم الشخصية الإنسانية تكاد تتساوى فى هذه المواضع المعدودة !

وأخيراً يهتدى المؤلف إلى الحل الحاسم الذى اهتدت إليه الجامعة العربية أخيراً ... يهتدى إلى سلاح المقاطعة الحاسمة الباتة ؛ التى تخنق الصهيونية فى فلسطين خنقاً . وقد ذهب المؤلف إلى أبعد الحدود ، ففرض تخلى العرب عن فلسطين كلها ، وضرب نطاق من الحصر الاقتصادى عليها . فما لبثت الصهيونية أن اختنقت فجاءت تطلب الصفح والمغفرة ، وتتخلى عن مطامعها فى الوطن القومى ليرفع العرب عنها هذا الخناق المميت .

* * *

ولست أشك لحظة فى أن هذه المسرحية تقدم لقضية فلسطين أعظم خدمة فى طوق عمل أدبى واحد أن يقدمها ، بل فى طوق عمل سياسى ضخم أن ينهض بها ؛ ذلك أنها لا تدع « قضية

فلسطين » جملة رنانة ترد فى الخطب الحماسية ، ثم تنقضى مناسبتها فتبرد وتتلاشى ... إنما تحيلها حقائق ووقائع حية ، وتردها أموراً عملية محسوسة ، فى الوقت الذى تثير فيه الأريحية الإنسانية ، وتوقظ فيه النخوة العربية ، وتكشف عن الوسائل والدخائل فى الصراع بين العرب والصهيونية ، وتوازن بين القوى الحقيقية التى يملكها الفريقان فى الميدان ... تكشف ذلك كله كما لم يكشف من قبل أبداً .

وأنا أحد الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم ممن يهتمون بقضية فلسطين ويتتبعون خطواتها ، ويهتفون بها هتاف المتحمسين لها ... وقد تضمن ديوانى الأول منذ أكثر من عشر سنوات تحية لأبطال فلسطين جاء فيها :

عهد على الأيام ألا تهزموا ... فالنصر ينبت حيث يهراق الدم
فى حيث تعتبط الدماء فأيقنوا ... أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا
تبغون الاستقلال ؟ تلك طريقه ... ولقد أخذتم بالطريق ، فيمموا
وهو الجهاد حية جشامة ... ما إن تخاف من الردى أو تحجم
إن الخلود — لمن يطيق ميسّر ... فليمض طلاب الخلود ويقدموا
وطن يقسّم للدخيل هدية ... فعلام يحجم بعد هذا محجم ؟
الشرق . يا للشرق ! تلك دماؤه ... والغرب . يا للغرب ! يغريه الدم
الشرق . ويح الشرق ! كيف تقحموا ... حرماته الكبرى وكيف تهجموا
غرتهم و سنة الكرى فتوهموا ... يا للذكاء ! فكيف قد غرتهموا !
سِنة ومرّت والنيام تيقظوا ... فليعلموا من نحن أو لا يعلموا !

* * *

أبطال الاستقلال . تلك تحية ... من مصر يبعثها فؤاد مفعم
إخواننا فى الحال والعقبى معاً ... إخواننا فيما يلذ ويؤلم
مصر الفتاة ولن تزال فتية ... تهفو إليكم بالقلوب وتعظم
فى كل مطلع وكل ثنية ... نار من الشرق الفتى ستضرم

أنا الذى زعمت لنفسى يوم نظمت هذه القصيدة ، وأيام تتبعت قضية فلسطين فى مراحلها المختلفة أننى ممن يعرفون هذه القضية . أشهد أن رواية « شيلوك الجديد » قد أطلعتنى على أننى كنت واهما فيما زعمت ، مغاليا فى حقيقة اهتمامى بهذه القضية المقدسة ، فلقد كشف لى الأستاذ « باكثير » عن حقيقة وضع القضية ، وحقيقة العوامل التى تتصارع فيها ، بما لم يكشفه لى كل ما وصل إلى يدى عنها فى خلال خمسة عشر عاما أو تزيد .

* * *

ولكننى أختلف مع الأستاذ « باكثير » فى أمر واحد . ذلك أنه يبدو فى سياق الرواية وفى ختامها أنه واثق بأن هناك شيئا اسمه « الضمير البريطانى » أو « الضمير الغربى » على وجه العموم . يبدو ذلك فى فصل « المحاكمة » الذى عقده فى نهاية المسرحية !

وأنا أخشى هذه الثقة على قضية فلسطين ، كما أخشاها على جميع قضايا البلاد العربية .

ليس للسياسة البريطانية ضمير . وليس للعالم الغربى شرف .

هذه هى العقيدة التى أعتقد أن من واجب كل كاتب وكل سياسى فى هذا الشرق العربى أن يمكن لها فى ضمير الأمة العربية بل فى ضمير الشرق الذى ما نكب فى تاريخه كله بمثل ما نكبته الثقة فى الضمير البريطانى ، وفى الشرف الغربى !

ولن ينال الشرق العربى — أو الشرق عامة — شيئا من حقه ، ولن يعرف الطريق الصحيح والوسائل المجدية لنيل هذا الحق ، قبل أن ييأس اليأس الكامل من هذا الضمير البريطانى ، ومن هذا الشرف الغربى . وقبل أن يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا فى الصراع مع ذلك الوحش الأوربى — والأمريكى أيضا — ذلك الوحش الناعم الملمس ، واللبد على بعد ملليمتر من هذا الأديم الرقيق !

وإذا كان الشرق العربى لا يزال مبتلى إلى اليوم بجماعة من الساسة المخدوعين فى حقيقة هذا الضمير الغربى عامة ، فإن من واجب حملة القلم أن يكون لهم شأن غير شأن الساسة ، وإلا كانوا غير جديرين بالهبة الإلهية اللدنية التى منحتها إياهم السماء .

سيد قطب

أنا سرارى حسن صالح من كفر دميرة القديم مركز طلخا فقد ختمى ولم أكن مدينة لأحد وجددت بدلا منه